فصل في تحليل بعض الشواهد على اللفظ والمعنى .

واعلمْ أنه وإن كانت الصورةُ في الذي أعدنا وأبدأنا فيه من أن لا معنى للنظم غيرُ توخّـِي معاني النحو فيما بينَ الكلم قد بلغتْ في الوضوح والظهور والانكشافِ إلى أقصى الغاية وإلى أن تكون الزيادةُ عليه كالتكلّـُف لِـمَا لا يُحتاجُ إليه فإِنّـَ النفس تنازعُ إلى تَـتّـبعِ كلّـِ ضربٍ منَ الشّـُبهة يرى أنه يعرضُ للمُسلِـم نفسَه عند اعتراض الشكّـِ . وإنّـا لنرى أنّـَ في الناس مَن إِذا رأى أنـُه يَجري في القياس وضربِ المثَـل أن تشبّـِه الكلمَ في ضمّـِ بعضها إلى بعضٍ بضمّـِ غزلِ الإِبريسم بعضِـهِ إلى بعضٍ ورأى أن الذي ينسجُ الديباجَ ويعملُ النقشَ والوشْيَ لا يصنعُ بالإِبريسم الذي ينسِـجُ منه شيئاً غيرَ أنْ يضمّـَ بَـعضَه إلى بعض ويتخيّـرَ للأَصباغِ المختلفة المواقعَ التي يعلمُ أنه إِذا أوقعَها فيها حدثَ له في نسجهِ ما يريدُ منَ النقش والصورة جرى في ظنّـِه أنّـَ حالَ الكلمِ في ضمّـِ بعضها إلى بعض وفي تخيّـُرِ المواقع لها حالُ خيوط الإِبريسم سواءٌ ورأيت كلامَه كلامَ مَن لا يعلم أنه لا يكونُ الضمّـُ فيها ضمّـاً ولا الموقعُ موقعاً حتى يكونَ قد تَـوخّـَى فيها معانيَ النحو وأنك إنْ عمدتَ إلى ألفاظٍ فجعلتَ تُـتْـبع بعضَها بعضاً من غيرِ أن تتوخّـَى فيها معانيَ النحو لم تكن صنعَـت شيئاً تُـدعى به مؤلفاً وتشبّـَه معه بمن عَـمِـلَ نسجاً أو صَـنَـعَ على الجملة صَـنيعاً ولم يتصوّـَر أن تكون قد تخيرتَ لها المواقع .

وفسادُ هذا وشبيههُ منا الظَـنّـِ وإن كان معلوماً ظاهراً فإِنّـَ هاهُنا استدلالاً لطيفاً تكثرُ بسببه الفائدةُ وهو أنه يتصوّـَرَ أن يعمدَ عامدٌ إلى نظمِ كلام بعينهِ فيزيلَه عنِ الصورة التي أرادَها الناظمُ له ويفسِـدُها عليه من غير أَن يحوّـِلَ منه لفظاً عن موضعهِ أَو يبدِلَه بغيره أو يغيرَ شيئاً من ظاهر أمرهِ على حال . مثالُ ذلك أنك إنْ قدّـَرتَ في بيتِ أبي تمام - الطويل - :